الطابع الصدامي للدولة الموحدية (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٢١-١٢٦٩م) دراسة في رؤى المستشرق الفرنسي أوليـــــري من خلال كتابه (الفكر العربي ومركزه في التاريخ)

م.د. حيدر علي حول
جامعة جابر بن حيان الطبية- كلية الصيدلة - العراق - النجف

الطابع الصدامي للدولة الموحدية (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٢١-١٢٦٩م) دراسة في رؤى المستشرق الفرنسي أوليــري من خلال كتابه "الفكر العربي ومركزه في التاريخ"

م.د. حيدر علي حول

جامعة جابر بن حيان الطبية- كلية الصيدلة - العراق - النجف

الملخص :

أعتنى المستشرق البريطاني دي لاسي أوليـري(De Lacy O'Leary (1872-1957) بالفكر العربي بدأ من نشوء الكيانات العربية الاسلامية التى امتدت الى مختلف المناطق ومنها بلاد المغرب والاندلس ،والتي يرى انها تأثرت بعدد من العوامل سواء بقيامها او انحلالها ،كما يسعى أوليـري الى اثبات ان الحضارة العربية –الاسلامية هي جزء من الحضارة الهيلينية الرومانية ؛ولذلك فان هذه التأثير كان بالنسبة له يبدو مستهجنا ، وان ما قدمته هذه الحضارة سوى اعادة عرض المادة القديمة سيما الرومانية في شكل جديد كليا لذلك فان محاولاته لدراسة الفكر العربي الاسلامي كانت منصبة على دراسة هذا الفكر خلال عصوره الوسطى وفرز العناصر المشتركة بينه وبين غيره كالمسيحية مثلا ، و يتطرق أوليـري الى الكيانات الاسلامية التي نشأت في بلاد المغرب والاندلس والتي تاثرت بظروف وعوامل خارجية يصر المستشرق على توكيدها.

تعد الدولة الموحدية (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) أحدى تلك الكيانات التي درسها أوليـري والتي تناولناها في البحث الذي قسم الى ثلاث مباحث؛ اعتنى الاول برحلة أبن تومـرت (٥٢٤هـ/١١٢٩م) ودورها في صياغة افكاره الدعوية التي اخذت تنتشر في بلاد المغرب والاندلس يوما بعد يوم ، في حين ناقش المبحث الثاني مسالة تنقل أبن تومـرت في سبيل نشر دعوته ضد المرابطين(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م) و بدايات الصدام بين الموحدين والمرابطين ،وهذه العلاقات التصادمية مع المرابطين 'ولاة وأنصار' عبر عنها بطرق مختلفة منها التشهير بهم في حين كان المبحث الثالث عن صدامية الموحدين مع اليهود والنصارى التي اشار اليها أوليـري ووصفها بانها تعبر عن الحالة القسرية التي كانت من سمات حكم الموحدين .

الكلمات المفتاحية:اوليري،الفكر العربي،الاستشراق، الموحدين ،ابن تومرت،الصدامية.

The character of confrontation in the Almohad state (541-668 A.H / 1121-1269 A.D).

A study in the visions of the French orientalist O'Leary through "his book "Arab Thought and its Center in History

Dr. Haider Ali hawal

Jabir Ibn Hayyan Medical University - College of Pharmacy - Iraq - Najaf

haider.hawal@jmu.edu.iq

Summary:

The British investor De Lacy O'Leary (1872-1957) took care of Arab thought starting from the emergence of Arab entities, we see that it was influenced by various regions in the Maghreb and Andalusia. Architecture, architecture, the previous state of civilization, and the previous state The study of this thought during the middle period and sorting out the common elements between it and others, such as

Christianity, and O'Leary, for example, addresses the Islamic entities that arose in the Maghreb and Andalusia, a witness that was influenced by external conditions and factors that the Orientalist insists on emphasizing.

The united state (541-668 A.H / 1146-1269 A.D) is one of the ones studied by O'Leary, a view that we dealt with in the research, divided into three sections; The first took care of Ibn Tumart's journey (524 A.H / 1129 A.D) and its role in formulating his advocacy ideas that spread in the Maghreb and Andalusia day after day.(1147 A,D) The beginnings of the clash between the Almohads and the Almoravids, express the coercive state that is characteristic of the Almohads, expressing the coercive state that is characteristic of the Almohads.

Keywords: O'Leary, Arab thought, Orientalism, Almohads, Ibn Tumart,clash.،

المقدمة :

تعاقبت على بلاد المغرب الإسلامي عددا من الكيانات السياسية التي لعبت دوراً بارزاً في المسار التأريخي والثقافي لتلك البلاد، ومن بين هذه الكيانات الدولة الموحدية التي ترجع أصولها إلى دعوة دينية إصلاحية بزعامة المهدي بن تومرت (ت: ٥٢٤هـ/١١٣٠م) التي قدر لها أن تحكم بلاد المغرب والأندلس وأن تحدث تطوراً على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والفكرية مما جعلها محط أنظار الدارسين والمستشرقين ومنهم المستشرق البريطاني دي لاسي أوليري في كتابه الفكر العربي ومركزه في التاريخ[١] . يهدف البحث الى الوقوف على البدايات الأولى للدعوة الموحدية والوسائل التي أنتشرت من خلالها هذه المبادئ ، ونقاط التماس والتصادم مع السلطة المرابطية وغيرها من القوى وصولاً إلى قيام الدولة ككيان سياسي له أطره

الخاصة مع الوقوف على أبرز المغالطات التي وقع فيها أوليري في حديثه عن الدولة الموحدية.

أولاً: رحلة أبن تومرت ودورها في صياغة افكاره:

يذكر ان الحياة السياسية في الغرب الاسلامي وخلال القرن السادس الهجري_الثاني عشر الميلادي كانت رتيبة لا حراك فيها حتى ظهر ابن تومرت الذي قلب الاوضاع رأسا على عقب ونفث فيها روحه [٢]

ظهرت بوادر دعوة المهدي بن تومرت الجديدة في بلاد المغرب الاسلامي ، والتي بدأت اثارها تظهر مع تراجع الدولة المرابطية ، التي تخلت عن محافظتها الدينية الأولى أكثر من كونها متأخرة بسبب الثراء الذي أصابها من بلاد الأندلس وأمتيازاً حكامها بالأبّهة وحب الظهور وهو ما شكل عاملاً سلبياً على الدولة عموماً والحكام خصوصاً ، وجعل منهم مثار نقد صريحٍ من المجتمع المغربي والاندلسي بسبب تدني الأوضاع في بلادهم مقارنةً مع حياة الحكام المرابطين[٣] ، كما يشير أوليري الى تغير نظرة المجتمع الاندلسي الى المرابطين بعد ان تذوقوا رفاهية وترف الحياة وقد اسهم هذا في سقوط حكمهم مع ما رافقها من شعوذات الفقراء [٤]، وقد كان للعامة آنذاك دورها في الاحداث فهي جزءا لا يتجزأ وعاملا من عوامل تكوينه الاساسية [٥]

وفي ضوء هذه الأوضاع التي تعيشها بلاد المغرب وتزايد تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وازدياد سطوة الفقهاء [٦] مع ثراء الحكام برزت شخصية قدر لها إحداث تغيير في تلك البلاد مستغلاً بذلك أوضاعها السيئة وهذه الشخصية هي المهدي بن تومرت واضع أسس الدولة الموحدية والذي ارتبط اسمه بتأسيس الدولة الموحدية والتي ترجع في أصولها إلى حركة احياء ديني[٧].

يرجع أوليري أصول أبن تومرت الى مراكش[٨]، وهذا ما يشير الى خلاف ما أوردته المصادر التأريخية من أنه رجلاً من أهل السوس احدى مناطق المغرب[٩] ، مع إنه لم يتناول حياته بصورة مفصلة واثرها في دعوته الا ان ما يذكر عن ابن تومرت لا يعرف شيء عن طفولته اللهم الا انه كان صبيا متدينا ومجدا الى حد كبير [١٠] .

أكتفى أوليري بإيراد بعض الاحداث باختصار مثل رحلته إلى بلاد المشرق إذ يشير الى انه وخلال تلك الرحلة اخذ شيئا عن ابو حامد الغزالي(ت:٥٠٥هـ/١١١١م) [١١] وتعاليمه دون شك[١٢] وهو بذلك أبتعد عن الإشكالات التي أثيرت عن ذلك اللقاء[١٣] ، ويشير الى المعاملة السيئة التي قوبل بها أبن تومرت والتي أضطر على أثرها الانتقال إلى مصر التي بدأ فيها معارضاً بانتقاداته لأخلاق الناس فيها[١٤]، وجراءً ذلك الضغط غادر أبن تومرت البلد على متن أحدى السفن المسيرة من الإسكندرية، إلاّ أنه لم يركن إلى الهدوء على متن تلك السفينة إذ أنه أخذ بإصلاح أخلاق بحارتها وإجبارهم على الصلاة[١٥] ، وبذلك يكون أبن تومرت قد أخذ يطبق مبادئ دعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السفينة المتجهة إلى بلاد المغرب ومما يذكر ان هذا النوع من السلوك لدى ابن تومرت ورحلته الى بلاد المشرق الاسلامي لم يكن مألوفا لدى البربر في المغرب الاقصى [١٦] ،علما ان ابن تومرت كان يبتغي من رحلته ان يكون عالما بيد انه من المؤكد حينما رجع للمغرب اعتبر نفسه صاحب رسالة وهي رسالة الاصلاح الديني [١٧]

يؤخذ على أوليري انه لم يكن مطلعا بصورة دقيقة على حياة أبن تومرت منذ بداياتها الأولى وحتى وفاته وهذا بدوره انعكس سلباً عما أورده حول شخصيته، فنجده يتهمه بإدخال الأفكار الشيعية إلى مراكش[١٨] وفسر ذلك بانه محاولة من ابن تومرت لاضفاء صفة المهدي انه قرن نفسه بصفة اخرى وهي كونه اماما ليس هذا فقط بل اماما معصوما من الخطأ [١٩] كما أدخل ابن تومرت اسكولائية الغزالي السنية إلى المغرب[٢٠] ،وجاهر في الوقت نفسه بأنه من أتباع أبن حزم [٢١] (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)[٢٢] ، أما في مجال الشريعة فإنه اتبع ما كان عليه المرابطين الذين سبقوه "مدرسة داوود الظاهري "والذي يصفهما أوليري بأنها في منتهى الرجعة[٢٣].

إن ما تمتع به أبن تومرت من ذكاء وفطنة جعلته شخصية ليس من السهل مناقشتها والتغلب عليها إذ أنه عمل على الأخذ من كافة الفرق والمذاهب التي كانت منتشرة في المشرق والمغرب دون التأثر بواحدة منها وإنما أخذ ما يخدم دعوته وأهدافه السياسية، فقد أدرك ابن تومرت حقيقة ان المجتمع المغربي ومن خلال فقهاءه كان قد

واجه الآراء والافكار القادمة من خلال المد الشرقي عن طريق طلبة العلم الا ان ابن تومرت ادرك مثل هذا الامر ولذلك خرج مذهبه بفكرة مقبولة [٢٤] وبمحاولة اجتهادية بتأليفه اعتقادية صالحه لزمانه ولقومه مستغلا ما كان عليه المرابطين من تحجر في تفقه عقيم وعبر من خلال رحلته للعالم الاسلامي عن مكونات عقيدته [٢٥] ، وقد تأثر ابن تومرت تأثيرا عميقا برحلته الى المشرق وعاد وهو يؤمن بأن الاسلام في المغرب وبخاصة في المغرب الاقصى لم يكن كما ينبغي ان يكون واذا كان ابن تومرت لم يعد من المشرق كثائر سياسي فأنه عاد مصلحا للأعراف والعقيدة [٢٦]

أما بخصوص إدعاء أبن تومرت أنه من نسل علي وأنه (المهدي) المعصوم[٢٧] فهذان النقطتان مترابطتان إذ لا يمكن أن يكون مهدي ومعصوم ما لم يكن من سلالة آل البيت فعمل على إرجاع نسبه إلى آل البيت وكان هذا النسب مثار جدل لدى المؤرخين[٢٨] وقد أعقب نسبه بآل البيت إدعاءه المهدوية والعصمة وكان الهدف الأساس من ذلك هو كسب التأييد من قبائل بلاد المغرب خصوصاً إذ ما عرفنا طبيعة تلك القبائل البربرية التي لاقت لأفكار أبن تومرت قبولا وتعظيما من بين ابناءها المتحمسين له ، والتي شكلت في الوقت نفسه المحور الأساسي لدعوته ، وما كان من تأثير لنظرية المهدي المنتظر في تلك القبائل لارتباطها بفكرة الخلاص والإنقاذ من الأوضاع التي كان تعيشها بلاد المغرب الإسلامي في ظل المرابطين، وبكل الاحوال فان لم يكن ابن تومرت شيعيا فأن المهدوية التومرتية تأثرت بالمهدوية الشيعية وهذا كان واضحا من خلال تركيزه على الامامة ودور الامام وعصمته وادعائه النسب الفاطمي [٢٩] ،بينما يرجح دعم القبائل لابن تومرت هو لأسباب اقتصادية لاسيما وان الشرائح البسيطة من قبائل هرغة و تينملل ساهموا بشكل فعال في الدعوة الموحدية وناصروها في حربها مع المرابطين [٣٠] ، ولم تتاي فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين بجديد من حيث الممارسة رغم ما يظهر من اختلاف على المستوى النظري بين النظام السياسي المبني على ولاية العهد وتوريث السلطة وبين النظام الموحدي المرتكز على سلطة الامام التي تورث في الاعقاب [٣١]

شكلت شخصية أبن تومرت عند عامة الناس بطلاً قومياً[٣٢] وخصوصاً عند القبائل البربرية التي وجدت بأبن تومرت ودعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر المخلص لها في ظل الظروف التي تعيشها، فعمل أبن تومرت على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة البربرية كما جعل الاذان للصلاة بالبربرية أيضاً بدلاً من العربية[٣٣].

لقد نجح أبن تومرت بتأسيس مذهب خاص به أتسم بالتحرر من الالتزام المذهبي الواحد وذلك بتخييره لعناصر مذهبية مختلفة عرفتها بلاد المغرب والاندلس لخدمة مشروعه السياسي ومذهبه الفكري الذي لاقى بين القبائل مقبولية كبيرة سواء كانت بالطواعية منهم او بالإجبار منه، مستغلا تعدد الجبهات التي كان يواجها المرابطين، فدخل أبن تومرت في عدد من التصادمات الدموية معهم حتى تمكن من تحقيق النصر حتى وفاته و انتصار مذهبه ومشروعه ، لان الثورة التي قادها ضد المرابطين كانت ثورة دينية تجديدية حرصها مؤلفها على نشر المعرفة الدينية وتعميمها لدى المغاربة بواسطة التعليم [٣٤] ،فلم يسلك حينما عاد الى المغرب مسلك العدو للمرابطين وانما تصرف كمصلح اخلاقي وفقيه ليس الا فبدلا من ان ينطلق بسرعة نحو اراضيهم ،امضى شهورا او سنوات في الطرف الشرقي من شمال افريقيا والذي كان بعيدا عن سيطرة المرابطين ؛ فلو انه كان مقتنعا بانه عهد الية نوع من الرسالة المقدسة لأقصائهم لسلك مسلكا اخر [٣٥]

ثانياً: بدايات الصدام بين الموحدين والمرابطين :

ـ إن خطوط التحول تبدو أشبه بالخيوط المعقدة منها بالشكل المنظم إذ إن النتائج تحصل دائما من مجموعة متضاربة من الأسباب يصعب فيها دائما تعيين المؤثرات النسبية [٣٦] ؛ومن هذا المنطلق فقد أستفاد أبن تومرت من الاوضاع وبدأ بنشر مبادئ دعوته الإصلاحية على أراضي المغرب والتي ظهرت بوادرها في مصر وعلى متن السفينة العائدة إلى المغرب والتي ذكرناها سابقاً ،إذ أنه أخذ يطبق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنجده في سنة (٥٠٥هـ/١١١١م)[٣٧] في مدينة المهدية متخذاً من احدى المساجد المحاذية للطريق مقراً له وكان من عادته أن يجلس بجانب النافذة لمراقبة البحارة مطبقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا ما رأى احدهم يحمل زجاجة خمر أو آلة موسيقية هاجمه واستولى عليها وحطمه[٣٨]، ولم يقتصر أبن تومرت على

تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يذهب لذلك أوليـري على أنه أخذ على عاتقه إلقاء الدروس على طلبة العلم في المدينة ويطلعهم على كتب أصول الدين[٣٩] فاحترمه العامة واعتبروه أحد الأولياء[٤٠] مما جعل أهل المدينة يتوافدون عليه للأخذ عنه والتبرك به مما أثار الاغنياء والمتنفذين لتقديم شكوى إلى علي بن يوسف بن تاشفين(٤٧٦-٥٣٧هـ/١٠٨٣-١١٤٣م) [٤١] ، فسمع الأمير شكواهم بعد أن لاحظ أثر عمله في عامة الناس فعامله بذكاء وبكل احترام وحثه في نفس الوقت بالخروج من المدينة والتوجه إلى أي مدينة أخرى[٤٢]، ولم يكن رأي الأمير في ذلك اعتباطياً إذ اشارت المصادر التأريخية أنه استدعاه مع مجموعة من الفقهاء والشيوخ لغرض معرفة أمره وما يصبو إليه وبعد سماعه كلامه واطلاعهم على أهدافه اكرمه الأمير وأجله، وسأله الدعاء وهذا يدل على مدى قوة حججه الاقناعية التي تغلب فيها على مناظريه [٤٣].انتقل أبن تومـرت بعد ذلك الى بجايه واستمر بالعمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤٤] الامر الذي أثار حفيظة الناس مما آل أمره إلى طرده منها[٤٥] وإن كان ما نقله أوليـري بعيداً عما نقلته المصادر التأريخية بخصوص إخراجه من بجاية، فبعد دخول أبن تومـرت للمدينة أخذ ينشر مبادئ دعوته بمختلف الوسائل ومنها عقده لمجالس العلم التي أخذ يدرس فيها علوم الشريعة ، ولم تقصر على طلبة العلم وإنما ضمت فقهاء المدينة[٤٦]، مما شكل ذلك خطراً على النفوذ المرابطي ومجتمع بجاية مما دعى والي المدينة إلى إخراجه لكن بطريقة ذكية إذ قال له ((يا فقيه لا تأمر السوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه فاني أخاف أن يأمروا فيك وتهلك))[٤٧]. وبذلك غادر أبن تومـرت بجاية إلى ملالة حيث استقر فيها[٤٨].

شهدت ملالة حدث مهم لعب دوراً بارزاً في دعوة أبن تومـرت ألا وهو لقاءه بعبد المؤمن (٥٢٤- ٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م)، الذي أعلنه بأنه سوف يكون خليفته بعده [٤٩]، وعلى الرغم من اختلاف الروايات حول هذا اللقاء وطغيان الجانب الأسطوري على بعضها إلاّ أنه يشكل منعطفاً تاريخياً مهما في مسيرة الدعوة الموحدية. [٥٠] ،هذا اللقاء الذي اثار فيما بعد حسد الكثيرين من الطامعين بالسلطة لما للمكانة التي وصل اليها والسلطان الواسع الذي آل اليه [٥١]

أستمر أبن تومـرت بالتنقل بين المدن المغربية حتى وصوله إلى مراكش وفيها حدث نوع من التصادم المباشر مع السلطة المرابطية ، فيذكر أوليـري أنه في احدى الجمع شق أحد الفقراء طريقه بين الحراس إلى الساحة العامة وجلس على العرش الذي أعد لجلوس الأمير بكل جرأة ورفض أن يتركه وهذا الفقير هو المهدي بن تومـرت، وأن الأمير المرابطي لم يتخذ أي إجراء بشأنه لما كان له من الاحترام الخرافي الذي كان يقابل الفقراء به عظيماً وفوقهم جميعاً أبن تومـرت، حتى لم يستطع أحد من الحراس المحيطين به من ازاحته عن العرش بالقوة ،ولما ظهر الأمير في النهاية وعرف من احتل مقعده الرسمي رفض الوقوف ضد إرادة هذه الفقير الرهيب إلاّ أنه ارسل في نفس الوقت من يقول له بصورة خاصة وبمنتهى الصراحة أن من الأفضل له مغادرة المدينة لفترة من الزمن[٥٢]، إن ما أورده أوليـري حول لقاء أبن تومـرت مع الأمير المرابطي لا يخلو من المبالغة ومحاولته تجميل صورة الأمير المرابطي على حساب أبن تومـرت، ويبدو ذلك واضحاً في سياق حديثه ،استجاب أبن تومـرت إلى طلب الأمير المرابطي و انتقل إلى فاس لكنه سرعان ما غادرها راجعاً إلى مراكش، والتي كانت فيها نقطة احتكاك مع المرابطين وهذه المرة مع أخت الأمير إذ أنه التقى بها في احدى الأيام في الشارع ، وقد اتبعت عادات الأجانب المعيبة وهي ركوب الخيل علانية ودون حجاب فأوقفها المهدي وصب عليها وابلاً من الشتائم لتجاهلها العادات المتبعة، فيما سيطر عليه الغضب فشدها من على متن الحصان الذي كانت تمتطيه وطرحها أرضاً[٥٣] ، وهذه الرواية لا تخلو من التهويل إذ لا يمكن لأبن تومـرت والذي عرف عنه حنكته وذكاءه أن يقوم بذلك اي جرها من على فرسها وطرحها أرضاً ويناقض أوليـري نفسه حين يقول أن أبن تومـرت شعر بالخطر جراء ما فعله نتيجة لتهوره فهرب إلى تينملل[٥٤] ، وفي الحقيقة ان أبن تومـرت لم يهرب إلى تينملل كما ذكر أوليـري إذ ورد عند أبن الأثير أنه عند وصول أنباء هذه الحادثة إلى علي بن يوسف أمر بإحضاره إلى البلاط لكي يجري معه مناظرة مع كبار الفقهاء ويتعرف من خلالها على نواياه وأهدافه[٥٥].

انتقل أبن تومـرت إلى تينملل حيث رفع راية الثورة ضد العائلة المالكة الفاسدة وغير المؤمنة وكان ذلك بداية الثورة المسلحة التي لم تلاقي الثورة في بدايتها إلى نجاح

يذكر إلاّ أن الوضع أختلف بتولي عبد المؤمن للقيادة الموحدية بعد وفاة أبن تومرت حيث استطاع الاستيلاء على المدن الخاضعة لسلطة المرابطين واستمر بمشروعه التوسعي حتى سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) حيث أصبح سيد مراكش ولم يمضي وقت طويل حتى استولى على امبراطورية المرابطين بالكامل[٥٦] وعرفت الدولة الجديدة التي أسسها عبد المؤمن بدولة الموحدين واستمر حكمها حتى سنة (٦٦٧هـ/١٢٦٨م)[٥٧] ، واستطاعوا ان يبنوا دولتهم القوية وان يؤسسوا حضارتهم المتألقة وسط المعيقات والازمات المثبطة والكابحة [٥٨]

ثالثاً: صدامية الموحدين مع اليهود والنصارى:

_ارسى أبن تومرت أساساً لدولة كبيرة قدر لها أن تحكم بلاد المغرب والأندلس وبدأ هذا المشروع على يد خليفته عبد المؤمن الذي سعى جاهداً لترسيخ تلك الأسس وسار على ذلك النهج خلفاءه وخصوصاً عصر قوة الدولة الأول، الذين سعوا الى تحقيق ذلك بمختلف الوسائل للمحافظة على ارثهم السياسي مما جعلهم محل نقد عددا من الكتاب والمستشرقين ومنهم المستشرقين أوليري الذي جاءت آراءه بعيداً منحازة نوعا ما ومما اخذ عليه انه لم يدقق في اسباب هذا التعصب والصدامية فيما بين الموحدين ومكونات المجتمع الاندلسي سيما اليهود والنصارى ؛ وقد ولد عنف الدولة الموحدية و ايدلوجيتها في صناعة ازمات مضادة فقد تراوح المغرب في ظل الموحدين بين طموحهم في تأسيس دول مركزية قوية بإصرار وجد وبين طموح عدد من المغامرين في الوصول الى السلطة [٥٩]

يمكن أن نقسم تحامل أوليري إلى قسمين الأول ؛ تمثل بدوافع دينية فهو يذكر أن حكم الموحدين جاء بعصر من التعصب والاضطهاد الدينيين[٦٠] ،فيذكر أن اليهود خلال الحكم الموحدي غادروا البلاد بأعداد ضخمة مهاجرين إلى افريقية أو إلى بروفنس، كما أن الكثير من المسيحيين هربوا لينظموا إلى قوة القشتالين في الشمال[٦١].

ويتضح هذا التحامل واضحاً على الموحدين بقوله أن تجربة اسبانيا الأخيرة مع المسلمين قد كانت على يد الموحدين القساة المتعصبين والمضطهدين الذين لم يكونوا

كمن سبقهم[٦٢]، من الأمويين (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م) والمرابطين[٦٣] وهنا أراد أوليري أن يعقد مقارنة مع نظامين سابقين دون الأخذ بنظر الاعتبار الدوافع وراء السياسة الموحدية تجاه أهل الذمة ومقارنتها مع من سبق من الدول التي كانت هي الأخرى لها ظروف خاصة وأسس فكرية مختلفة.

لا ننفي السياسات الموحدية تجاه أهل الذمة لكن ليس بالصورة التي نقلها أوليري فضلا عن سياسات الدولة السابقة للموحدين والذي ذهب أوليري لتلميع تأريخهم في تعاملهم مع أهل الذمة فتذكر المصادر التأريخية أنه خلال فترة الحكم المرابطي تم تغريب النصارى بل أنه تم إصدار فتوى بوجوب تغريبهم ووجوب اجلائهم عن مواطنهم بالأندلس لما لاقاه المسلمون على أيديهم من نقص العهود والمواثيق[٦٤]،وبالفعل استجاب الأمير للفتوى وغربت جموع كبيرة منهم إلى مدن العدو[٦٥].

لم يختلف الحال بالنسبة لليهود [٦٦] إذ مرت علاقتهم بالحكام المسلمون بالتوتر والتصادم ،ولكن أوليري يرى انه في زمن المرابطين وعلى الرغم من تعصبهم فانهم لم يتخذوا اي إجراء تجاههم وإتجاة المسيحين أيضا بل بقوا يشغلون مناصب رفيعة في البلاط أو في سلك الخدمة المدنية حتى مجيء الموحدين [٦٧] ومرجع ذلك التوتر ،لما كانوا يملكون من دسائس ضد المسلمين وإنحيازهم إلى جانب النصارى فيجدهم كلما زادت حركة الاسترداد [٦٨] مالو أكثر وأندفعوا لإظهار عورات المسلمين وخير مثال على ذلك هو موقفهم ضد المسلمين في معركة الزلاقة [٦٩] خلال العهد المرابطي إذ أنهم ساندوا النصارى ضد المسلمين[٧٠] ،ومما تقدم يمكن أن نسلم لأمرين مهمين الأول هو مجانبة أوليري للحقائق التأريخية بالنسبة لمعاملة الأنظمة التي سبقت الدولة الموحدية وأن المقارنة التي عقدها مع المرابطين كانت بعيدة عن الصحة، والأمر الثاني أن محور توتر العلاقة بين السلطات وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى هو بسبب موقفهم من السلطات القائمة ؛ والتي كانت تتسم بالسلبية وأستغلال نقاط الضعف لضرب المسلمين ، وقد أستمر منهج اليهود خلال حكم الدولة الموحدية والذي تأرجح بين المد والجزر تبعاً لموقعهم أي أهل الذمة من السلطة الموحدية ، فتذكر المصادر التأريخية ان أبن عبد المؤمن قد خيرهم بين قبول

الإسلام أو الموت[٧١] وقد ميزو بملابس خاصة خلال مدة حكم يعقوب المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥هـ/١١٨٤–١١٩٨م)[٧٢] وأستمر ذلك الإجراء خلال مدة محمد الناصر (٥٩٥–٦٠٩هـ/١١٩٨ –١٢١٢م)، إلاّ أنه سمح لهم بإرتداء ثياب صفر وعمائم صفر[٧٣] ، وقد حاولت الدولة الموحدية في أوقات لاحقة معالجة حالات التأزم والتوتر وذلك بإلغاء الجزية رغبة في تغيير موقفها من سلوك اهل الذمة الذي انخرطوا في اوقات كثيرة ضدها الا انه وبكل الاحوال بولغ في تصوير مسالة مضايقة الموحدين لأهل الذمة [٧٤] ، وقد اعتبرت الظروف التي مر بها اليهود والنصارى هي جزء من حالة الصراع بصورة عامة [٧٥]

لم ياتي موقف الموحدين من أهل الذمة وخصوصاً اليهود من فراغ ،ولعل أبرز تلك الدوافع وراء السياسة الموحدية هي محاولة اليهود أستغلال أي ثغرة لدى المسلمين وأستغلالها لضربهم إذ نجدهم يألبون الحركات الانفصالية مثل حركة محمد بن سعد بن مردنيش(ت:٥٦٧هـ/١١٧٢م) أمير شرق الأندلس والذي ثار ضد السلطة الموحدية[٧٦] وعاضدوا الجيش القشتالي آبان غزو أبي عبد الله بن واندين لمدينة طليبرة سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٧٧].

أما فيما يخص المحور الثاني الذي يتحامل فيه أوليري على الدولة الموحدية فهو المحور الفكري وإتهامه للحكام الموحدين بالتعصب، إلاّ أن ما أورده من معلومات كان مليء بالمغالطات والتناقضات فهو يذكر أنه من الغريب حقاً أن الفكر الفلسفي الإسلامي عاش عصره الذهبي في كنف الحكام الموحدين الذين لا يعرفون التسامح ويؤكد أن الفلسفة والفلاسفة وجدوا الحماية والعطف في البلاط الموحدي[٧٨] ، وهذا ما يناقض كلام أوليري فيما يخص التعصب وعدم التسامح الذي وصف به الدولة الموحدية، ويؤكد ذلك بقوله أن موقف الفلاسفة قد تعزز تماماً منذ أوائل الحكم الموحدي إذ أعطيت لهم الحرية المطلقة في عملهم وتعاليمهم، مشروطة بعد نشرها على عامة الناس لاعتقاد الموحدين أن الفلسفة نوع من الحقائق الباطنية المحصورة في فئة المتنورين[٧٩] ، وهذا ما أكدته تناقضات أوليري قوله أن أول إمام عظيم للفكر الفلسفي في الأندلس خلال العصر الموحدي هو أبن طفيل (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، الذي عاش في كنف الدولة الموحدية وشغل منصب وزيراً

وطبيباً للخليفة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م)[٨٠]، وقد قدم أبن طفيل [٨١] صديقه الفيلسوف الشهير أبن رشد (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٨م) والمعروف عند الغرب بـ(Averroes) والذي يعد أعظم فلاسفة العرب المسلمين وأخبرهم على الإطلاق[٨٢]، وشغل منصب القضاة في العديد من المدن الأندلسية وعين طبيبا لأبي يعقوب يوسف[٨٣]،ومن المغالطات التي وقع فيها أوليري فيما يخص الأثر الفكري لأبن رشد [٨٤] هو قوله أن أبن رشد لم يكن له أثر عظيم بين المسلمين وقد شكل اليهود محور جمهوره المعجبين[٨٥]، وبما أن اليهود قد اضطهدوا من قبل الموحدين وهجروا إلى مناطق عديدة، لذا كانوا الواسطة الرئيسية في نقل وتعريف المسيحية اللاتينية بتعاليمه[٨٦].

وخلاصة القول أن أوليري أراد بكلامه المتناقض هذا عن التطور الفكري خلال عهد الدولة الموحدية إعطاء صورة مشوهة عن إنجازات تلك المرحلة التأريخية فعلى الرغم من اعترافه بأن هذه المرحلة أنتجت فلاسفة عظماء عاد ليناقض نفسه محاولاً إيجاد ثغرة لضرب تلك الإنجازات بقوله أن تأثيرات الفلسفة والفلاسفة لم يكن واضح على العرب المسلمون واليهود الذين كان لهم الدور الأول في نقل معالمهم إلى العالم.

الخاتمة

- جاءت معلومات أوليري مقتضبة وبعيدة عن الموضوعية ، وخاصةً فيما يخص المسيرة الأولى لصاحب الدعوة.
- تولى أبن تومرت قيادة الدعوة الموحدية منذ البدايات الأولى لها وخلال مرحلتين؛ الأولى تمثلت بخارج حدود بلاد المغرب ، والثانية داخل حدود المغرب من خلال المدن التي مر بها وصولاً إلى الصدام مع السلطة المرابطية والذي تعددت اشكاله .
- لم يتبنى أبن تومرت مذهباً بعينه بل أنه اطلع جميع المذاهب والفرق التي كانت منتشرة في البلاد التي زارها وأخذ منها ما يتلائم مع مذهبه الجديد وقد ساعدته الأوضاع التي كانت عليها بلاد المغرب الإسلامي آنذاك والتي كانت بحاجة الى سلطة توحد هذا الشتات وتعمل على ربط مكوناته بعضها مع البعض الاخر الا ان الصدامية والتعصب الذي كانت عليه الدولة الموحدية اسهم الى حد كبير في انهاء

وجودها مع ما لعبته الممالك النصرانية ودعمهم للحركات الداخلية الثائرة والوقوف وراء مكونين من مكونات المجتمع الاندلسي من اليهود والنصارى .

- من النقاط المهمة في حياة أبن تومـرت هو لقاءه بعبد المؤمن الذي أكمل مسيرته التي بدأها ووضع الركائز الأساسية للطور السياسي للدعوة الموحدية مع ما يلزم لتلك المرحلة.
- اسهمت عوامل كثيرة في نجاح الدعوة الموحدية ؛ ومنها ضعف السلطة المرابطية وتدهورها خصوصاً في نهاية عهدها مما هيئ الجو لابن تومـرت للتصادم مع السلطات والذي بدأ تدريجياً بالعمل بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصولاً إلى الصدام المسلح.
- يصف أوليـري الفترة الموحدية بالتعصب وعدم التسامح الديني والصدامية؛ وبلا شك فانه يقصد بذلك تعاملهم مع اليهود ، فقد كان منحازا لهم وكان يعتقد ان اليهود وجدوا الحرية والتسامح في زمن المرابطين الا ان عصر الحكام الموحدين اتسم بعدم التسامح؛ الامر الذي شتت اليهود بأعداد كبيرة الى مناطق متفرقة بعيدة عن سلطة الموحدين وشمل هذا المفكرين اليهود ايضا .
- وبينما يتهم الموحدين بعدم تسامحهم فانه يرى ان الفلاسفة وجدوا العطف والحماية في ظلهم فقد سمحوا الهم بالحرية المطلقة فضلا عن ابتعاده عن الموضوعية لاسيما الجانب الفكري والذي شكل محوراً مهماً في تأريخ الدولة وكيانها.

الهوامش:

(١) لم تشر المصادر العربية الى تفاصيل شخصية عن أوليـري باستثناء اسماء كتبه منها ؛مختصر تاريخ الخلافة الفاطمية، وكتاب الجزيرة العربية قبل محمد ،وكتاب الفكر العربي ومكانه في التاريخ ،وكتاب كيف تسربت الحضارة اليونانية الى العرب ،وكتاب اثر جالينوس في الفلسفة العربية ،وكتاب مصادر الثقافة العربية ينظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون ،دار المعارف،(مصر-١٩٩٤)،ج١،ص٥٢٣.

(٢) حليم، سرحان، ملاحظات حول حياة ابن تومرت من خلال النصوص التاريخية والوثائق الاثرية، مجلة الدراسات الاثارية،العدد:١،المجلد:١٢،(الجزائر-٢٠١٤)، ص٢٩٥ ومابعدها.

(٣) أوليـري، دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التأريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، (بيروت - ١٩٨٢)، ص٢١٠؛يكاد يتفق الباحثين على ان ابتعاد المرابطين عن الكتاب والسنة والاعتماد على كتب الفروع دون سواها والتمسك بمذهب مالك بن انس كان عاملا مهما استغله ابن تومرت في تحقيق طموحه ومأربه لمزيد من التفاصيل ينظر:السامرائي،اسامة عبد الحميد حسين،محمد بن تومرت وثورته على المرابطين دراسة تاريخية ،رسالة ماجستير،جامعة تكريت،قسم التاريخ،(العراق-٢٠٠٢)،ص٣١.

(٤) اوليري،الفكر العربي،ص٢٠١.

(٥) المحمودي، احمد، عامة المغرب الاقصى في العصر الموحدي، رؤية للنشر والتوزيع،(القاهرة-٢٠٠٩) ،ص٢٢ ومابعدها

(٦) ان مساندة الخلفاء المرابطين للفقهاء المرابطين كان من اهم اسباب انتشار المذهب المالكي وقوة الفقهاء المالكية هي التي جعلت منه المذهب الرسمي لدولة المرابطين لمزيد من التفاصيل ينظر:الشيخ،عدة،التقارب بين السلطة والفقهاء خلال العصر المرابطي واثره في انتصار المذهب المالكي بالغرب الاسلامي، مجلة عصور،العدد٢،المجلد ١٧،(الجزائر-٢٠١٨)،ص٤٦ ومابعدها.

(٧) اوليري، الفكر العربي ،ص٢١٠؛ لقد كان مخطط ابن تومرت السياسي هو الاستيلاء على المغرب الاسلامي كله اي من حدود برقة حتى المحيط الاطلسي ولذلك فان خليفته عبد المؤمن بن علي لم يكتف بأسقاط دولة المرابطين و أرث مملكتها بل كان يطمع الى تأسيس خلافة يكون المغرب والاندلس جزءا منها ينظر: الغناي، مراجع عقيلة ، قيام دولة الموحدين، منشورات قار يونس،ط٢،(بنغازي-٢٠٠٨)،ص١٠٢ .

(٨) اوليري، الفكر العربي،ص٢١٠.

(٩) للمزيد عن نسب ابن تومرت: البيذق، أبو بكر الصنهاجي(ت:ق٦هـ/١٢م)، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، أعتنى بإخراجه: ليفي بروفنسال،منشورات بولس لتتر الكتبي، (باريس–١٩٢٨)، ص ١٨ وما بعدها؛ أبن القطان ،أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي(ت:٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، منشورات كلية العلوم والآداب الإنسانية، جامعة محمد الخامس،(تونس–١٩٩٩)،ص٩٠؛المراكشي،عبد الواحد بن علي(ت:٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ،المعجب في تأريخ أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني،(القاهرة–١٩٩٤)، ص١٥٥.

(١٠) تورنو، روجر لي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب: امين الطيبي، شركة النشر والتوزيع،ط٢،(المغرب–١٩٩٨)،ص١٣.

(١١) ينظر عن الغزالي: ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي،،دار احياء التراث العربي ،(بيروت–١٩٩٧)،ج٢، ص٣٣٥–٣٣٦.

(١٢) أوليري، الفكر العربي، ص٢٠٩

(١٣) يعد لقاء ابن تومرت والغزالي مثار جدل كبير في الدراسات الخاصة بالموحدين لمزيد من التفاصيل ينظر: أبن القطان، نظم الجمان، ص٧٢ – ٧٣؛ المراكشي، المعجب، ص١٥٥؛ ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبدالله الفاسي (ت:بعد ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)،الانيس المطرب بروض القرطاس بأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصورة للطباعة والوراقة،(الرباط–١٩٧٢)، ص١٧٢؛ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت – ١٩٥٩)، مج٦، ص٢٦٧.

(١٤) اوليري،الفكر العربي، ص٢٠٩.

(١٥) المصدر نفسه والصفحة ؛ وللمزيد من التفاصيل عن رحلته ينظر:البيذق، اخبار المهدي،ص٥٠ ومابعدها .

(١٦) تورنو ،حركة الموحدين، ص١٣؛ اختلف الجغرافيين في تحديد مصطلح المغرب عموما والمغرب الاقصى خصوص ،وذلك باختلاف العصور التاريخية حيث تغيرت معالم حدود المغرب وفقا لتطور وقائع تاريخية ومدى تبعيته للخلافة الاسلامية او استقلاله ولم توجد حدود ثابتة وقاطعة ينظر: اسماعيل، سلمى محمود ،الصراع الاثني والمذهبي في المغرب الاقصى في ضوء نظريات ابن خلدون، رؤية للنشر والتوزيع ،(القاهرة–٢٠١٠) ،ص٧٠

(١٧) تورنو ، حركة الموحدين،ص١٤.

(١٨) اوليري، الفكر العربي،ص٢٠٩.

(١٩) الغناي، قيام دولة الموحدين ،ص٢٢٠؛ان ادعاء ابن تومرت للمهدوية والعصمة اراد به السيطرة على عقول الناس بدليل ان خلفاءه لم يستخموها الا اسباب سياسية لمزيد من التفاصيل ينظر:خيطان،عبدالكريم ،المهدوية والعصمة واثرها على خلفاء الموحدين دراسة نقدية،مجلة جامعة كربلاء العلمية،العدد١،المجلد٥،(العراق–٢٠٠٧)،ص١٦٦ ومابعدها .

(٢٠) اوليري، الفكر العربي،ص٢٠٩؛يعزو أوليـري تكوين اسكولائية سنية ضمن الدين الاسلامي كان نتيجة التطور الذي سيطر على القرنين الرابع والخامس للهجرة وهذه السكولائية ترتبط بثلاث قادة وهم الاشعري والباقلاني والغزالي ويصف أوليـري الاخير بانه من احد كبار المفكرين العرب ينظر: الفكر العربي ،ص١٨٩–١٩٢/١٧٩؛وتعرف السكولائية او(الفلسفة المدرسية) وهي فلسفة العصور الوسطى باعتبار ان الفلسفة خادمة للدين مهمتها تبرير وتأويل الدين المسيحي ليتماشى مع العقل ،وقد قصر اسم المدرسين على من كانت صناعته التعليم من خلال المحاضرة في مختلف المدارس والاديرة وجميعهم من رجال الدين ينظر: حنفي،عبد المنعم ،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،مكتبة مدبولي ،ط٣،(القاهرة–٢٠٠٠)، ص٦١٩–٦٢٠.

(٢١) وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث والفقه وهو موسوعي ارتبط اسمه بالمذهب الظاهري حتى فاق اسمه اسم مؤسس المذهب داود الظاهري ينظر: الضبي، أبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة(ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المكتبة العصرية،(بيروت– ٢٠٠٥م)،ص٣٨٦.

(٢٢) يذهب اوليري الى أبن حزم خير من يمثل الطابع الرجعي للاسلام في اسبانيا وهو اول عالم ديني كبير أنبته الاندلس ،وكان أبن حزم قد رفض مذاهب اهل السنة المعتبرة في الشريعة وبعد ان اطرح حتى مذهب أبن حنبل معتبرا اياه غير متشدد بما فيه الكفاية اذ اتبع

أبن حزم مذهب داوود الظاهري وهذا المذهب لم يكن يتمتع حتى بمجرد الاعتراف به كمذهب مساو لاي من المذاهب الاربعة الاخرى للتفاصيل ينظر:أوليـري،الفكر العربي،ص١٩٧/ ٢٠٩.

(٢٣) اوليري، الفكر العربي،ص٢١١؛ يعرف داوود الظاهري(ابو سليمان داوود ابن علي بن خلف الاصبهاني والمعروف بالظاهري)، المولود في الكوفة بحدود المائتين وتوفي في بغداد سنة ٢٧٠ هـ ،من زهاد عصره وعقلاء الناس ،اخذ العلم عن ابن راهويه وابي ثور ،وقد عرف عنه تعصبه للأمام الشافعي والتصنيف له في فضائله ، عرف عن ابو داوود بانه صاحب مذهب مستقل ولذلك تبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج١،ص٣١٥-٣١٦؛ وللمزيد عن مذهب الظاهرية ينظر:ابو زهرة ، محمد،تاريخ المذاهب الاسلامية،مطبعة دار الفكر العربي ،(مصر-د،ن)،ص٣٥٣ ومابعدها .

(٢٤) السامرائي، عامر حميد ،الفكر الاعتزالي واثره على الحياة الاجتماعية بالمغرب العربي ،مجلة البحوث والدراسات الاسلامية،العدد١٨،(العراق-٢٠٠٩)،ص١١٦-١١٧.

(٢٥) العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب ،المركز الثقافي العربي،ط٢،(المغرب-٢٠٠٩)،ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢٦) تورنو، حركة الموحدين،ص١٦.

(٢٧) أوليـري، الفكر العربي، ص٢٠٩

(٢٨) للمزيد عن مهدوية ابن تومرت ينظر: البيذق، أخبار المهدي،ص٢١؛ أبن القطان، نظم الجمان، ص٨٧ – ٨٨؛ المراكشي، المعجب، ص١٥٥؛ أبن خلدون، العبر، مج٦ ص٢٦٦.

(٢٩) سمير، بن لكحل ،المهدوية في الغرب الاسلامي وتأثيراتها السياسية والعقدية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكره، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،(الجزائر-٢٠١٨)،ص١٠٢.

(٣٠) المحمودي ،عامة المغرب الاقصى،ص١٩٣.

(٣١)عابد،يوسف،الحركة الموحدية الاصلاحية بين المفاهيم الدينية والصراعات السياسية ،مجلة جامعة الامير عبدالقادر للعلوم الاسلامية بقسنطينة ،العدد٣،المجلد٢٧،(الجزائر-٢٠١٣)،ص٢٩١.

(٣٢) أوليـري، الفكر العربي، ٢١١.

(٣٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٤) المحمودي،عامة المغرب الاقصى ،ص١٤١.

(٣٥) تورنو، ص١٥.

(٣٦) المصدر نفسه ،ص٥.

(٣٧) اختلفت المصادر التاريخية في بداية دخول أبن تومـرت إلى بلاد المغرب بصورة عامة ومدينة المهدية بصورة خاصة. ينظر: أبن الأثير، أبي الحسن علي بن ابي الكرم الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التأريخ، راجعه وحققه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٤، (بيروت–٢٠٠٣)، مج٩، ص١٩٥؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان ،ج٣، ص٢٥؛ أبن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٧٣؛ الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم(ت: ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، (تونس – د.ت)، ص٤؛ أبن أبي دينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني(ت:١١١٠هـ/١٦٩٨م)، المؤنس في أخبار افريقيه وتونس، مطبعة الدولة التونسية، (تونس–١٩٦٩)، ص١٠٧.

(٣٨) أوليـري، الفكر العربي، ص٢٠٩.

(٣٩) أبن خلكان وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥.

(٤٠) أوليـري، الفكر العربي، ص٢٠٩.

(٤١) لمزيد من التفاصيل عن سياسة علي بن يوسف بن تاشفين ينظر: أبن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد:٧١٢هـ/١٧١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت–١٩٨٣)، ج٤،ص٤٢ وما بعدها؛المراكشي،المعجب،ص١٤٩ وما بعدها.

(٤٢) اوليري،الفكر العربي، ص٢٠٩ – ٢١٠.

(٤٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٤٥) المصدر نفسه والصفحة؛ كان حاكم بجاية في ذلك الوقت العزيز بالله ابن المنصور ابن الناصر ابن علناس (ت:٥١٥هـ) وكان قد هم بابن تومرت الا انه تركه الا ان ابن تومرت خرج من بجاية الى رباط ملالة ينظر:ابن القطان،نظم الجمان ،ص٧٦–٧٧.

(٤٦) البيذق، أخبار المهدي، ص٥٣؛ المراكشي، المعجب، ص١٥٦؛ أبن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٧٣.

(٤٧) البيذق، أخبار المهدي، ص٥٢.

(٤٨) أوليـري، الفكر العربي، ص٢١٠.

(٤٩) اوليري،الفكر العربي،ص٢١٠؛ طرح بموت المهدي مشكلة الخلافة ،اذ لم يترك ابن تومرت وصية وهذا بحد ذاته يضعف الراي القائل بميوله الشيعية ، ولا يعني التأثر بمنطق الامامية ارتباطا بالدعوة الشيعية ولذلك فأن الاجماع بعبد المؤمن بن علي لم يتم الا بعد سنتين ينظر: العروي، مجمل تاريخ المغرب،ص٣١٣.

(٥٠) البيذق، أخبار المهدي، ص٥٥ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص١٥٧؛ أبن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٧٣.

(٥١) الغناي، قيام دولة الموحدين ،ص١٠٦.

(٥٢) أوليـري، الفكر العربي، ص٢١٠؛ ينظر عن هذا اللقاء :البيذق،اخبار المهدي ،ص٦٧ وما بعدها

(٥٣) اوليري،الفكر العربي،ص٢١٠.

(٥٤) اوليري،الفكر العربي،ص٢١٠.

(٥٥) ينظر: ابن الاثير،الكامل، ج٩، ص١٩٦.

(٥٦)أوليري، الفكر العربي،ص٢١١؛لم يترك عبد المؤمن بن علي للمرابطين فسحة من الوقت لإخضاع المدن الاندلسية المضطربة وسار بنفسه للقضاء على سلطان المرابطين وهناك جملة من العوامل التي سادت الموحدين على الانتصار عليهم بالرغم مما كانت هذه الدولة من قوة فأن الفساد والاستهتار اضافة الى غطرسة الحكام وعسفهم اثار غضب الشعوب المحكومة وفقدت الاسرة المرابطية قدسها من جراء عدم مراعاتها للتقاليد الاسلامية ومهدت بذلك لأطماع ابن تومرت الذي قضى على هيبتهم وقضى عبد المؤمن على سلطانهم ينظر: اشباخ، يوسف ،تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي،(القاهرة–١٩٥٨) ،ص١٩٥–٢٠٥.

(٥٧) اوليري، الفكر العربي،٢١١.

(٥٨) المغراوي، محمد، الموحدون وازمات المجتمع ،جذور للنشر،(الرباط–٢٠٠٦)،ص١٥.

(٥٩) المغراوي، الموحدون ، ص١٤ .

(٦٠) اوليري ،الفكر العربي ،ص٢١١.

(٦١) المصدر نفسه والصفحة؛ ينظر عن علاقات الموحدين السياسية مع الممالك النصرانية:ابو رميلة،هشام،علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس،دار الفرقان،(عمان-١٩٨٤)،ص٢٣٥ ومابعدها.

(٦٢)اوليري ،الفكر العربي ،ص٢١١.

(٦٣) المصدر نفسه والصفحة؛ لم يكن اوليري دقيقا بما يخص تعامل المرابطين مع اهل الذمة فقد شهدت الفترات الاخيرة لاسيما بعد تفاقم التهديد الموحدي حيث اجبر التشدد المسيحين واليهود على الهرب من الاندلس وشعر المسلمون ايضا بانهم مهددون بدين متشدد للغاية وظهرت الاثرة والخلافات عندما هاجم الموحدين دولة المرابطين لمزيد من التفاصيل ينظر:المجريطي،خوليو رييس روبيو،الاندلس بحثا عن الهوية الضائعة،ترجمة وتقديم:غادة عمر طوسون ،رنا ابو الفضل،مراجعة:سرى عبداللطيف، المركز القومي للترجمة،(القاهرة-٢٠١٤)، ص١٣٠.

(٦٤) ينظر: الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى(ت: ٩١٤هـ/١٥٠٩م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بأشراف: محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت - ١٩٨١)، ج٢، ص١٥١.

(٦٥) ينظر: أبن عذارى، البيان المغرب،ج٤، ص٧٢ - ٧٣؛ أبن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م)،الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، (مصر - ١٩٧٣)، ج١، ص١٠٨ - ١١١.

(٦٦) يذكر أوليـري ان اليهود تمتعوا بقسط وافر من الحرية على يد المسلمين الفاتحين بعدما كانوا يعانون من الاضطهاد أبان من سبقهم من الحكام الغوط ،بل انهم لعبوا دورا رئيسيا في معاضدة الفاتحين بل انه ربما هم من دعوهم الى فتح البلاد كما انهم كانوا يشكلون حاميات للمناطق التي كان يفتحها الفاتحين كما كانوا وسيلة لتزويدهم بالمعلومات وتحركات القبائل ويرجح أوليـري وجود علاقة سابقة بينهم وبين العرب الفاتحين وظلت علاقتهم قوية بالمسلمين حتى مجيء الموحدين للتفاصيل ينظر:أوليـري ،الفكر العربي،ص٢٠٤.

(٦٧) يشير أوليـري الى ان اليهود تعرضوا الى اضطهاد الموحدين لاسيما ابوعمران موسى بن ميمون ٦٠١ هـ كما يشير أوليـري الى عدد من المدن التي اصبحت ملجأ لاعداد ضخمة من اليهود هربا من جور الموحدين وهذا بحسب ما يذكره كان السبب في تشتيت الكثير من اليهود الاسبان في افريقيا وغيرها لمزيد من التفاصيل ينظر:أوليـري،الفكر العربي ،ص ٢٢١-٢٣١؛ومما يذكر ان النصارى كانوا يعيشون في جو من التسامح تحت حكم المسلمين حتى عصر المرابطين والموحدين الذي سيطر عليه الصراع بينهم وبين النصارى فقد كان لغزوات المرابطين والموحدين وقع سيئ على الاسبان اليهود والمستعربين النصارى الذين اخذوا يهربون وباعداد كبيرة مع بداية حرب الاسترداد ينظر: كاسترو ،اميركو ،اسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود ،ترجمة:علي ابراهيم منوفي، مراجعة:حامد ابو احمد ،المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة-٢٠٠٣)، ص٦٠ /٥٤١.

(٦٨) حروب الاسترداد او كما عرفت عند الغربين بـReconquista وتعنى استرداد المسيحين لاراضيهم من المسلمين ،وقد جرت في اوقات مختلفة قبل الموحدين وبعدهم ونتجة عنها انهاء الوجود الاسلامي في شبة الجزيرة الايبيرية ويشير وات الى ان المسلمين لم ياخذوها بعين الاعتبار نظرا للتسامح الديني ولم يفكروا بان طابعها ديني ولم يفكروا بمواجهتهم الا بعد ان ابدى المسيحين حماسة لها للمزيد عن حركة الاسترداد وتطورها للحروب الصليبية ينظر:وات، مونتغمري، تاثير الاسلام في اوربا العصور الوسطى ،ترجمة: سارة ابراهيم الذيب ،مراجعة: سحاب الاحدب، جسور للترجمة والنشر،(بيروت-٢٠١٦)،ص٨٧-١٠٦؛ومما يذكر ان هذه الحروب بيت على نظرية الاحقية في الارض واستردادها لمزيد من التفاصيل ينظر: مبارك،بشير،الحروب الصليبية على العالم الاسلامي:حركة الاسترداد في الاندلس نموذجا واثرها على المغرب الاوسط،مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا ،العدد ٣،المجلد٥،(الجزائر-٢٠٢٢)، ص٤٩٤ ومابعدها.

(٦٩)؛ ينظر عن معركة الزلاقة : ابو خليل، شوقي، معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، دار الفكر،(دمشق-١٩٩٣)،ص٥٦ وما بعدها .

(٧٠) المراكشي، المعجب، ص١١٩؛ أبن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٤ – ٢٦٥.

(٧١) أبن الأثير، الكامل، ج ٩، ص٤٢٩.

(٧٢) المراكشي، المعجب، ص٢٥١.

(٧٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٤) المغراوي،الموحدون، ص١٩٢.

(٧٥) سعادة ،سمية ،وهدى عبدو اهل الذمة في العهد الموحدي"الحضور والاسهامات" (٥١٥-٦٦٧هـ/١١٢٦-١٢٦٨م)،رسالة ماجستير،جامعة محمد بوضياف ،(الجزائر-٢٠١٧)،ص ٤٧ وما بعدها.

(٧٦) لمزيد من التفاصيل عن تمرد ابن مردنيش ينظر: أبن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي(ت:٥٩٤هـ -١١٩٧م)، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق وتقديم: عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت - ١٩٦٤)، ص١٨٧؛ أبن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٧٤.

(٧٧) لمزيد من التفاصيل عن ابن واندين ينظر: أبن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٥ - ١٤٦، ١٥٠.

(٧٨) اوليـري،الفكر العربي، ص٢١١.

(٧٩) المصدر نفسه، ص٢١١ - ٢١٢.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٢١٢.

(٨١) يصف أوليـري أبن طفيل بانه امام عظيم للفكر الفلسفي في اسبانيا في عهد الموحدين ،ويرى أوليـري ان أبن طفيل يعرض نفس الاصول المتعلقة بإزالة عقائد الفلسفة من نفوس العامة بعد ان عرضها أبن باجه قبله وهي التي اعترف بها فيما بعد على انها الموقف الرسمي الصحيح للموحدين التي يدافع عنها في قصته التي اسماها حي بن يقظان لمزيد من التفاصيل ينظر: أوليـري ،الفكر العربي،ص٢١٢.

(٨٢) اوليري،الفكر العربي، ص٢١٣.

(٨٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٨٤) يصف أوليـري أبن رشد بانه من اعظم الفلاسفة العرب على الاطلاق الا انه يرى انه لم يكن لأبن رشد اثر عظيم بين المسلمين بل اشتهر بين اليهود والاسكولائين اللاتين بل ان اراءه لم تلق اهتمام كبير او انتقاد من قبل العلماء المسلمين لمزيد من التفاصيل ينظر: أوليـري، الفكر العربي نص٢١٣-٢٢٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٨٦) المصدر نفسه والصفحة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر :

- أبن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التأريخ، ، راجعه وحققه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٤، (بيروت–٢٠٠٣).
- البيذق،أبو بكر الصنهاجي(ت:ق٦هـ/١٢م)، أخبار المهدي بن تومـرت وابتداء دولة الموحدين، اعتنى باخراجه: ليفي بروفنسال، (باريس – ١٩٢٨).
- أبن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، (مصر–١٩٧٣).
- أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت–٢٠٠٦).
- أبن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – ١٩٩٧).
- أبن أبي دينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت:١١١٠هـ/١٦٩٨م)، المؤنس في أخبار افريقيه وتونس، مطبعة الدولة التونسية، (تونس–١٩٦٩).
- أبن أبي زرع ،أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(ت:بعد ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)،الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتأريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (الرباط – ١٩٧٢).
- الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم(ت: ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، (تونس– د.ت).
- أبن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن يحيى الباجي(ت:٥٩٤هـ–١١٩٧م)، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق وتقديم: عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت–١٩٦٤).

الضبي، أبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة(ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المكتبة العصرية،(بيروت– ٢٠٠٥م).

- أبن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(ت بعد:٧١٢هـ/١٧١٢م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت–١٩٨٣).

- أبن القطان ،أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي(ت:٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، (تونس-١٩٩٩).
- المراكشي،عبد الواحد بن علي(ت:٦٤٧هـ/١٢٤٩م)،المعجب في تأريخ أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، (القاهرة-١٩٩٤).
- الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى(ت: ٩١٤هـ/١٥٠٩م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بأشراف: محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت-١٩٨١).

المراجع:

- ابو خليل، شوقي، معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، دار الفكر،(دمشق-١٩٩٣).
- ابو رميلة،هشام،علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس،دار الفرقان،(عمان-١٩٨٤).
- ابو زهرة ،محمد، تاريخ المذاهب الاسلامية، مطبعة دار الفكر العربي ،(مصر-د،ت).
- اسماعيل، سلمى محمود ،الصراع الاثني والمذهبي في المغرب الاقصى في ضوء نظريات ابن خلدون، رؤية للنشر والتوزيع ،(القاهرة-٢٠١٠).
- اشباخ، يوسف ،تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي،(القاهرة-١٩٥٨) .
- أوليـري، دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التأريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، (بيروت-١٩٨٢).
- تورنو، روجر لي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب: امين الطيبي، شركة النشر والتوزيع،ط٢،(المغرب-١٩٩٨).
- حليم، سرحان، ملاحظات حول حياة ابن تومرت من خلال النصوص التاريخية والوثائق الاثرية، مجلة الدراسات الاثارية،العدد:١،المجلد ١٢،(الجزائر-٢٠١٤).
- حنفي،عبد المنعم ،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،ط٣،مكتبة مدبولي،(القاهرة-٢٠٠٠).

خيطان،عبدالكريم ،المهدوية والعصمة واثرها على خلفاء الموحدين دراسة نقدية،مجلة جامعة كربلاء العلمية،العدد١،المجلد٥،(العراق-٢٠٠٧).

- السامرائي،اسامة عبد الحميد حسين،محمد بن تومرت وثورته على المرابطين دراسة تاريخية ،رسالة ماجستير،جامعة تكريت،قسم التاريخ،(العراق–٢٠٠٢).

السامرائي، عامر حميد ،الفكر الاعتزالي واثره على الحياة الاجتماعية بالمغرب العربي ،مجلة البحوث والدراسات الاسلامية،العدد١٨،(العراق–٢٠٠٩).

- سعادة،سمية،وهدى عبدو،اهل الذمة في العهد الموحدي"الحضور والاسهامات" (٥١٥–٦٦٧هـ/١١٢٦–١٢٦٨م)،رسالة ماجستير،جامعة محمد بوضياف ،(الجزائر–٢٠١٧).
- سمير، بن لكحل ،المهدوية في الغرب الاسلامي وتأثيراتها السياسية والعقدية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكره، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،(الجزائر–٢٠١٨).

الشيخ،عدة،التقارب بين السلطة والفقهاء خلال العصر المرابطي واثره في انتصار المذهب المالكي بالغرب الاسلامي، مجلة عصور،العدد٢،المجلد ١٧،(الجزائر– ٢٠١٨).

- كاسترو،اميركو ،اسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود ،ترجمة:علي ابراهيم منوفي، مراجعة:حامد ابو احمد ،المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة–٢٠٠٣).

عابد،يوسف،الحركة الموحدية الاصلاحية بين المفاهيم الدينية والصراعات السياسية ،مجلة جامعة الامير عبدالقادرللعلوم الاسلامية بقسنطينة ،العدد٣،المجلد٢٧،(الجزائر–٢٠١٣).

- العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب ،المركز الثقافي العربي،ط٢،(المغرب–٢٠٠٩).
- العقيقي، نجيب، المستشرقون ،دار المعارف(مصر–١٩٩٤).
- الغناي، مراجع عقيلة ، قيام دولة الموحدين، منشورات قار يونس،ط٢،(بنغازي–٢٠٠٨).

مبارك،بشير،الحروب الصليبية على العالم الاسلامي:حركة الاسترداد في الاندلس نموذجا واثرها على المغرب الاوسط،مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا ،العدد ٣،المجلد٥،(الجزائر–٢٠٢٢).

- المحمودي، احمد، عامة المغرب الاقصى في العصر الموحدي، رؤية للنشر والتوزيع،(القاهرة–٢٠٠٩).

المجريطي،خوليو رييس روبيو،الاندلس بحثا عن الهوية الضائعة،ترجمة وتقديم:غادة عمر طوسون ،رنا ابوالفضل،مراجعة:سرى عبداللطيف، المركز القومي للترجمة،(القاهرة–٢٠١٤).

- المغراوي، محمد، الموحدون وازمات المجتمع ،جذور للنشر،(الرباط–٢٠٠٦).
- وات،مونتغمري، تاثير الاسلام في اوروبا العصور الوسطى ،ترجمة:سارة ابراهيم الذيب،مراجعة:سحاب الاحدب،جسور للترجمة والنشر،(بيروت–٢٠١٦).